

الذخيرة الفنية في أسبوع

الغزوة في المولد النبوي :

كان الأسبوع الماضي أسبوع المولد النبوي ، على صاحبه الصلاة والسلام ، فقد تعطرت النوادي بهذه الذكرى الحبيبة ، وتحلت الصحف والمجلات بما نشرته فيها من الكلمات الطيبات ، وأذاعت لها دار الإذاعة برنامجاً حاشياً اختتم أسبوعاً ، وقد افتتحه صاحب الفضيلة الشيخ محمد حسين مخلوف مفتي الديار المصرية واختتمه الأستاذ أحمد حسن الزيات بحديث بليغ عن « بلاغة الرسول » .

ولا أحب إلى من أن أبدأ في هذا الأسبوع بالكتابة في هذه المناسبة السعيدة ، مسجلاً المظهر الرائع الذي بدا فيه الاحتفال بالمولد هذا العام ، من حيث انجاء الفنون الجميلة إلى الاشتراك فيه ، فإلى جانب الأدب من كتابة وخطابة وشعر ، نسمع المطربين يصدحون بالأغاني المؤثرة في مدح الرسول وذكرى مولده ، ونسمع كذلك التمثيلات الإذاعية والبرامج الخاصة . ومما يلفت النظر أن الجمعيات الدينية كالشبان المسلمين والإخوان المسلمين ، أدخلت التمثيل في برامج احتفالاتها ، فثلت على بعض المسارح تمثيليات في تاريخ الصدر الأول من الإسلام . وهكذا تعاونت فنون الأدب والفن والتمثيل على الحفاوة بمولد الرسول في هذا العام ، ولا أقول إنها اكتسبت به جلالاً وروعة ، بل هي التي اتخذت منه موضوعاً لإبراز جمالها الفني ... وأى موضوع أدعى إلى الإبداع الفني من ذكرى الحبيب محمد بن عبد الله الذي انتقل حبه إلى قلوبنا ، على تعاقب الأجيال ، بتيار رسالته المشعة الهادية ، وأى شيء أبقى بالفن من الحب ... ؟

السفينة العربية :

وقد استرعى انتباهي حسن التفات الأستاذ الزيات في حديثه إلى قوله عليه السلام « إن قوماً ركبوا سفينة فافتقدوا ، فصار

لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على بده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » وذلك من حيث تطبيقه على دنيا الإسلام والعروبة اليوم ، إلى أن قال الأستاذ : « وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من أُممية الدهن وإشراق الروح كان ينظر إلى النيب من ستر رقيق ، فضرب هذا المثل للجامعة الدول العربية لعلها تتذكر فتتدبر » . أقول : حيا الله شعب العراق ، فقد حال دون خرق السفينة العربية بهيئته وجه المعاهدة التي تهدد سلامة السفينة إذا اختلفت إحدى الشقيقات مع الانجليز ... وحيا الله دولتي سوريا ولبنان ، فقد أبتا أن تصنعا في مكاتهما شيئاً يرقصهما القامد مع الانجليز حتى ينتهي الخلاف بينهم وبين مصر ، وعلى جامعة الدول العربية قائدة السفينة أن تتذكر فتتدبر .

لقد قوض العرب الأولون أركان الدولة الشرقية (الفارسية) والدولة الغربية (الرومانية) وكانت عدتهم في ذلك الوحدة والإيمان والتضحية ؛ ونحن الآن لاعاصم لنا من الكتلة الشرقية والكتلة الغربية إلا هذه الصفات . ويخيل إلى أننا أخذنا بالوحدة واقتربنا من الإيمان ، ولكننا لا نزال بعيدين عن التضحية ، لأننا غارقون في الآثرة ، متملقون بالرياسة وحب السلامة .

ويوم تم لنا تلك الصفات ، نجد « الكتلة العربية » مكانها على قدم المساواة إن لم يكن في موضع التقلب ، وليس هذا اليوم بعيد .

نشوء القومية في ألمانيا :

كان « نشوء القومية في ألمانيا وتصادم النظريتين الألمانية والفرنسية في تعريفها وتحديدتها » موضوع المحاضرة الثانية من سلسلة المحاضرات التي يلقيها الأستاذ ساطع الحصري في الجمعية الجغرافية الملكية والتي حدد لها يوم السبت من كل أسبوع .

قال الأستاذ : كانت ألمانيا في أواخر القرن الثامن عشر إمارات ودويلات متفككة سياسياً وإن كانت ذات وحدة لغوية وثقافية ؛ ولم يكن أهلها يشعرون بالقومية ، وكان علماءها وأدباؤها يتجهون في تفكيرهم واتجاههم نحو الإنسانيّة والمالية ، فلما قامت الثورة

متأثراً بالنظرية الفرنسية، ولكنه بالبحث والتأمل تبين له بطلانها لأن المشيئة ليست أمراً ثابتاً محدوداً، وأورد حوادث دلت على تغيرها، ولأن هذه المشيئة إنما تكون نتيجة للموامل الأساسية كاللغة والتاريخ؛ وختم الأستاذ المحاضرة بقوله إن صحة نظرية القومية القائمة على اللغة وفساد نظرية المشيئة، سيتبين بشكل أوضح في المحاضرة القادمة عند ما نتكلم على الفكرة القومية في النمسا والبلقان وتأثير اللغة والتاريخ فيها.

الشعر المزمج :

رددت الصحف أخيراً قولاً للأديب الفرنسي أندريه جيد : « إذا وجد في أي بلد شعراء مجيدون ، وإذا أحب أهل هذا البلد قراءة الشعر ، فاعلم أن النظام السياسي هناك نظام صالح قويم . أما إذا خلا البلد من الشعراء والنوابغ ، وإذا عزف الناس عن قراءة الشعر وترتيبه ، فاعلم أن النظام السياسي هناك نظام فاسد معوج . وفي البلد الأول فلما تقوم الثورات والفتائل ، وفي البلد الثاني فلما يهدأ الناس ويرضون عن حياتهم » .

ويبدو لي أن الربط بين وجود الشعراء وإقبال الناس على الشعر وبين استقرار الأحوال واطمئنان الناس في حياتهم - يبدو لي أن هذا الربط يقوم على اعتبار الشعر ترفاً فنياً وعلى ما يهود حياة الناس من هدوء بال وهناءة عيش فيقبلون على الشعر يلتمسون فيه المنفعة الفنية ، أو قلن وشظف فينصرفون عن هذا الكمال الفني إلى مسائلهم ومشاكلهم .

ونحن ولا شك من الفريق الثاني ، والناس عندنا عازفون عن قراءة الشعر من غير شك أيضاً ، ولكن هل عندنا شعراء مجيدون ؟ يتوقف الجواب عن هذا السؤال على تحليل عزوف الناس عن قراءة الشعر ، فهل تصرفهم عنه شواغلهم ، أولا تعجزهم البصاعة الموجودة ؟

أما الشواغل والفتائل فهي متوافرة ، وأما الإنتاج الشعري فليس من السهل إطلاق الحكم عليه .

أحسب أن شيئاً من التبعة في كساد الشعر يرجع إلى أولئك الفقهاء الذين هبوا في فترة ماضية ، يميون على الشعراء الماشين في حياة الناس الفائلين في مسراتهم وأحزانهم ، ويدعون إلى التجارب الذاتية والتحليق الفني . ولمؤلا الفقاد وجهة فنية

في فرنسا أبدوا ارتياحهم إليها مؤملين أن تقص على الفترات الوطنية وتهدف إلى تحقيق الخير للبشر ، ولكن لم يلبث أملمهم أن خاب عندما غزام نابليون ، وفرض عليهم حكماً استبدادياً لحقت بهم السكوارث من جرائه ؛ فشمروا بالحاجة إلى الوحدة والتشكل وبدأ المفكرون بوجهون الشعب نحو القومية ، وشرع الأدباء والشعراء في إنتاج الأدب الوطني الحماسي الذي جعل لهذه الفترة مظهراً بارزاً في تاريخ الآداب .

وكان على رأس أولئك المفكرين « نغته » الذي دعا إلى عاربة التفريق والضعف وإلى تجميع التعليم وتربية الشعب تربية تتفق فيها الأناثية ، وبث في أبنائه أن عليهم رسالة كبيرة يؤدونها للبشر عامة ، برفع شأن وطنهم أولاً ، ثم نشر الرسالة في خارجه وبهذا مزج بين الوطنية والعالمية . وكان يوجه كلامه إلى الناطقين باللغة الألمانية ، فكانت نتيجة ذلك أن شعر سكان جميع البلاد التي تتكلم الألمانية برابطة اللغة .

وأدت هذه الحركة إلى تكوين جامعة الدول الألمانية التي كانت تنظم العلاقة بين هذه الدول وإن كان يحكم كل منها حاكم مستقل وتحقق وحدة اقتصادية ، وتقدمت الصناعات ، وقوى الجيش . ووجدت ألمانيا الفرصة سانحة في الانضمام إلى الحلفاء ضد نابليون فاشتراك في حربه معها ، ولكن الحلفاء بعد أن تغلبوا على نابليون عاكسوا الحركة القومية في ألمانيا زمناً طويلاً ، حتى قيعض لها بسمارك ، فعمل على تحقيقها بمختلف الوسائل .

وبعد أن أفاض الأستاذ في بيان ذلك انتقل إلى النقطة الثانية من المحاضرة ، فقال إنه في خلال تلك الحوادث نشأت نظريتان في تعريف القومية : النظرية الألمانية القائلة بأن القومية كائن حي روحه اللغة الواحدة ، والنظرية الفرنسية التي تقول بأن القومية ليست كذلك وإنما هي شيء يقوم على مشيئة الشعب ، وراضح أن كلا من النظريتين كان يدفع أصحابها إلى القول بها مصالح بلاده فالفرنسيون لاجية ولون باللغة أساساً للقومية ، لأنهم كانوا يريدون نهر الرين ، والألمان ينفون في سيلهم داعين إلى وحدة بلادهم وهي ذات لغة واحدة .

واستمرض الأستاذ آراء كل من الطرفين ، ثم قال إنه كان

معصره الفن الحديث :

في يوم الخميس افتتح المعرض الأول للفن الحديث ، طر يحيى قسم الرسم من معهد التربية العالي للمعلمين .
والفن الحديث في الرسم ليس شيئاً مغايراً للفنون السابقة ، وإنما بعد تطوراً لها ، إذ يرى أصحابه أن الأسلوب (الفوتغرافي) في الرسم صناعة آلية لا تقضى الفكر أو العواطف الإنسانية ، فهو أسلوب جامد لا يساير الحياة المتحركة ، ثم هو لا يتصل بالثقافات الأخرى من علمية واجتماعية وفلسفية . أما الفنان الحديث فقد أخذ بنصيب من هذه الثقافات التي تفاعلت في نفسه مع الطبيعة الفنية ، فهو حينما ينتج لا يصور الحياة كما هي ، وإنما يضيف إليها شيئاً من فكره وشحنه من حسه فيتسلسل إلى الحقائق والمتناقضات سمياً وراء الأفضل ، أو هو يتمييز آخر لا يقبل الواقع المائل بل يدرك الواقع المتطور ويعبر عنه ، وهو يتحرر من كثير من القيود والأصول المعروفة .

وقد شاعرت المروضات ، وفهمت بعضها (ولا غير) واستمعت على فهم البعض الآخر بأصحابه الأساتذة العارضين ، ومم ذلك لم أفهم كل شيء .. ولم أخرج من مصارحتهم بذلك ، فكانوا يجيبون بأن الفنان قد يعبر عن شعور غامض في نفسه أو عن تجربة له لم تتفق لمن لا يدرك سره .

وإذا كنا لم نقبل - في الشعر - القول المأثور : المعنى في بطن الشاعر ، فهل نقبل - في الرسم - أن يقال : الفكرة في بطن الفنان ؟

يجب أن توضح معالم هذا الفن حتى يتصل الشعور بين المنتج والمتفرج . وأي قيمة لعمل فني تنقطع فيه الصلة بين المشاهد والفنان ؟

استمرار الأدوار :

بدأ الموسم الشعوري للتمثيل في الأوبرا ، بتمثيل الفرق المصرية على هذا المسرح نحو شهر ، ثم جلت عنه للفرق الأجنبية التي تتعاقب عليه . عملت فيه أولاً فرقة (الباليه) الفرنسية ، وتعمل به الآن الفرقة الإيطالية ، وستعقبها فرقة (السكوميدي فرانسيز) وهكذا تشغل هذه الفرق الثلاث مسرحنا الرسمي أكثر

سليمة إذا نظرنا إلى ما هالم من التهاك على الرناء المصنوع والتماني المتعاقبة وغير ذلك مما ليس بسبيل التعبير الصادق ، ولكن كانت نتيجة تلك الحركة أن اكتشف شعراء المناسبات عن الميدان ، وإن كان لا يزال فيه من يوالون تزييف التعبير وقد أصبحت ثقافة منيعهم معروفة . أما التحليق فلم يلبث أجنحة في أكثر أسره ... ومن خلق قصد إلى ترف المشاعر ، مزوراً عن مضطرب هذه الأمة المتسكوبة في حريتها وفي عيشتها . ونظر الناس إلى هؤلاء وإلى هؤلاء شذراً ، لأنهم وجدوهم إباحيين عن الإجابة أو غير مسدين إلى أهواء المجتمع ، فكانوا عنهم ممرضين . وليس الأمر مفسوراً على جبهة القراء ، فالإعراض عن قراءة الشعر يشمل الخاصة من المثقفين ، ولا أخفى أنني ألاحظ على شعر يقرأ ، وأكاف نفسي أحياناً أن أقرأ شعراً ، صابراً إلى نهايته ، ثم أقول في نفسي : أرى هذا الكلام ينشر إذا جرد من الوزن والقافية وكتب نثرأ .. ؟ والجواب مفهوم طبعاً ، وإذن فنحن نتخذ النظم « حواراً » للنثر ليس إلا ...

كتب كاتب في إحدى صحفنا الكبيرة « تقريباً » لديوان أخرجه أخيراً شاب يتعلق بالشعر ، فتمثل الكاتب بما كتبه فيكتور هوجو عن لاسرتين عقب نشر أول مجموعة شعرية له ، وهو قوله : « لقد ولد لنا الليلة شاعر عظيم جديد » فاستبشرت خيراً بمن ولد لنا وهو صاحب الديوان الذي يقرظه الكاتب ، ولكنه عني على ما أملت بإبراده طائفة من روائع شعره ، فقد نظرت في هذه « الروايم » متخيلاً تجرد هامن الوزن والقافية فوجدتها كالذي وصفت .. وكذلك شأن أكثر من يولدون في هذه الأيام !

وأعود إلى ما أسلفت من أنه ليس من السهل إطلاق الحكم على الجميع ، فثمة قلة من الشعراء يرتفع شعرهم عن مستوى السكترة التي كادت نحملي على القول بأن الشعر لاق حقه . أما الظاهرة الشاملة المحوطة وهي انصراف الناس عن قراءة الشعر ، فإن خالفني في تعاليمها فإن تختار في تقريرها .

وموقف الشعراء - في نظري - لا يخلو من ثلاثة : أن يظلوا يقولون لأنفسهم ، أو يقولوا فيما يعني الناس وما يمجهم ، أو يسكتوا حتى يفرغ الناس لهم .